السكنى فى الريف وعلاقتها بالإنتاج الزراعى

الكلمة التى ألقاها حضرة صاحب السعادة فؤاد أباظه باشا

مدير عام الجمعية الزراعية الملكية فى الاجتماع الزراعى العام لسنة ١٩٤٢

اختارت لى وزارة الزراعة أن أتحدث عن السكنى بالريف وعلاقتها بالإنتاج الزراعى. واخترت أنا بدورى أن أتحدث اليكم عما أعمله فعلا إزاء ذلك فى مزارعى الخاصة، بدلا من أن أتحدث عما ينبغى أن يعمل ومالا يعمل ، أو عما تعمله الجمعية الزراعية الملكية التى أتشرف بإدارتها .

والموضوع فى حد ذاته محبب لنفسى . أتكلم فيه عن خبرة واعتداد كما أعتقد . فقد ولدت فى الريف ونشأت بين الفلاحين و " الغيط " ، وكنت دائم التردد عليهم جميعا طوال مدة حياتى المدرسية ، وشاءت الأقدار أن تكون صناعتى الزراعة ، فنية وعملية ، وبذا قد اتصلت الحلقات طوال السنين حتى يومنا هذا .

و إنى لا أدعى أنى من ساكنى الريف بالمعنى المفهوم من دوام البقاء فيه. ولكنى أقرر أن ترادى عليه واتصالى الدائم به وسكناى به أحيانا فى فترات قد تقصر أو قد تطول كل هذا يمكننى من إبداء رأى عملى فى علاقة سكنى الريف بالانتاج الزراعى .

وفى اعتقادى أن ما أعمله أو ما يشابهه يحل مشكلة ريفية كبيرة لم تحل للآن، وتسبب عنها تأخر الريف وقذارته وسوء حالة الفلاح على نحو ما نعلمه جميعا . وأعنى بالمشكلة الكبرى مشكلة ملاك الأطيان الزراعية الذين تضطرهم ظروف أعمالهم للسكنى فى العاصمة أو المدن بعيدا عن مقر أطيانهم فيتركونها للمؤاجرين أو النظار أو من يستغلها لحسابهم .

و بالطبيعة فإن المالك الزراعى الساكن بين مزارعه أقدر على استغلال أرضه وتحسين إنتاجها من الذى يقيم بعيدا عنها . ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله .

ففى معظم أيام آخر الأسبوع أتردد على مزرعتين لى بالتناوب. الأولى بمركز منيا القمح ومساحتها نحو المائة والخمسين فدانا ، والأخرى أرض إصلاح فى مركز شربين مساحتها مائتان وأربعون فدانا. وعدا ذلك فإنى دائم الاتصال بهما بالتليفون فى صباح كل يوم تقريبا بين الساعة السابعة والساعة الثامنة للوقوف على الأعمال الزراعية الجارية فيهما . وليس هذا

إسراف فى المكالمات التليفونية كما يبدو ، إذ أنى أضع برنامج العمل لكل جهة عند زيارتى لها بعد مناقشتى للفلاحين والناظر والخولى . كما أتعهد تتبع العمليات الزراعية الجارية بالتليفون والمكاتبات التى تصلنى من الجهتين يوميا . وقد تفاهمنا على تقسيم الأرض إلى أحواض منمرة وحوشات منمرة وشرخ منمرة على خرط وضعت لذلك . فأعرف ما هو جار فى كل منها من سقى وصرف وزرع وحرث وتخطيط وعزيق وتقصيب وجمع وحصاد ودراس وغير ذلك من باقى العمليات الزراعية ، وعدد الأنفار وأجورهم إذا كانوا يشتغلون لحساب الزراعة ، أو ما يتم إنجازه من العمليات بواسطة المرابعين أو الزراع بالمحمول .

ومنذ سنة ١٩١٤ حتى الآن لا أعطى أرضا بالإيجار الا القليل جدا . أما طريقتى فى الزراعة فبطريق المحمول أو المجهول ، وهى التى أفضلها عن جميع أنواع الفلاحة بين المالك والمزارع ولا أتردد فى الدعوة اليها . ففى أرض منيا القمح اتفقنا على أن تكون حصتى فى الفدان ثلاثة قناطير من القطن ، ويتراوح المحصول بين أربعة قناطير وستة ، وثلاثة أرادب من الذرة ويتراوح المحصول بين ستة وثمانية أرادب ، وثلاثة أرادب من القمح لكل فدان يزرع شتويا سواء كان قمحا أم برسيما والمحصول حوالى ستة أرادب . وأنا الذى أنتخب التقاوى البقية والأسمدة على حساب المزارع . وفى المدة الأخيرة زادت عنايتى بمباشرة الأرض بنفسى وبالإصلاح الزراعى والاجتماعى والاقتصادى ، على أساس الرأسمالية المشبعة بالإصلاح الاشتراكى ، محاولا أن أوفق بينهما ، مستلهما فى ذلك أحكام القرآن الكريم وأصول الديمقراطية الحقة ، الديموقراطية القائمة على المحبة والتعاون من جهة والإجلال والطاعة من جهة أخرى ، تمشيا مع قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " وقوله تعالى " والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء " .

ففى أنواع الزكاة مثلا أخرجها فى كل عيد مكونة من أنصبة من اللحم لكل بيت من بيوت الفلاحين بنسبة ما فيه من رجال وحريم وعيال ، ومبالغ نقدا تختلف باختلاف مكان كل بيت عدا هدايا صغيرة فى مناسبات مختلفة .

ثم إنى بنيت حتى الآن ثلاث عزب على مثال العزبة النموذجية الخضراء بتفتيش بهتيم التابع للجمعية الزراعية الملكية ، وقد تكلفت دار الفلاح فيها من عشرين إلى خمسة وعشرين جنيها قبل الحرب الحالية وأثناءها ، وهى من الطوب الأخضر سواء فى مركز منيا القمح أو فى مركز شربين نفسه الواقع فى منطقة المطر ، ولا تحتاج فى صيانتها إلا للدهاكة كل عام بعد الشتاء ، وهى لا تتكلف إلا القليل من القروش ، إذ يقوم سكان كل دار بدهاكة حيطان دارهم .

ثم إنى أبيع المحاصيل لى ولهم وأحاسبهم على أساس ما اجتهدت فى الحصول عليه من الثمن ففى محصول القطن الماضى جاءوا بالتاجر فعرض عليهم ٣٥٥ قرشا للقنطار الأشمونى . ولما حلجت عينات منه وجدت أن ما يساويه من الثمن هو ٣٨٥ قرشا ، واشتراه التاجر بهذا السعر وحاسبتهم عليه . وكذلك الحال فى القمح والذرة . وأؤكد لكم أنى بعت نصيبى من الذرة لكل فلاح أنتجه بسعر مائة وأربعين قرشا حسب التعريفة ؛ وما زاد عن حاجتى من القمح فى شهر مارس بسعر ثلثمائة قرش للأردب الذى يزن مائة وخمسين كيلو ، فلم أغبنهم ولم أقبل أن أكسب منهم قرشا أكثر مما اتفقنا عليه .

ومن فوائد السكنى بالريف والتردد عليه أن يتاح للمالك عند مبيته أو عند زيارته تبادل الأحاديث مع الفلاحين فيقف منهم على حاجتهم . وكان من نتيجة تبادل الأفكار إنى قررت غمر دور الفلاحين بالجاموس والأبقار والحمير شركة بينهم وبينى بالنصف فيها وفى نتاجها ، ومعاونة من لم تتوافر لديه حصته نقدا بأن أدفعها عنه . ولقد وجدت تحسنا ملموسا لم أتعرف مداه إلا لما وجدت أن خدمة الأرض من حرث وزرع أصبحت أحسن بكثير . ووجدت أن حاجتهم لمشترى الأسمدة الكيماوية أخذت تقل تدريجيا حتى إنى قررت أن لا يعتمدوا نهائيا إلا على السباخ البلدى الذى يتخلف عن بهائمهم . ثم لاحظت التحسن المحسوس فى حالتهم الصحية بسبب تحسن الغذاء وكميته مما تدره الجواميس والأبقار من اللبن والجبن والسمن على أن أكبر ظاهرة أعجبت بها هى أن نسل المواشى الزائد عن الحاجة يقوم بدور هام فى تسديد ما ربما يكون عليهم من المتأخرات ، إذ للفلاح ثمن النصف ولا يأخذه كله أو بعضه إلا بعد مراجعة ماله وما عليه .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل وجدت أنه أصبح لدى المزرعة قطيع من العجول يرعى فى البرسيم ثم يباع بمكسب لا بأس به أو يعاد بيعه لمن يلزمه من الفلاحين .

هذا مثال من الأمور الواقعية أيها السادة ؛ وهناك من المسائل المتفرعة المتشعبة مالا يشمله الحصر أو العد فقد أتجول بين دور الفلاحين فأجد هذه الصبية أو هذا الصبى أو تلك الولية أو هذا الرجل أصفر الوجه خائر القوى ، فأرسل المريض لطبيب المركز أو أستدعيه حسب حالة المريض . وكنت أجد صعوبة فى الأول بسبب عدم الثقة والخوف من نتائج العلاج ؛ ولكن بالاقناع وطول البال وشفاء المرضى وصلت إلى نتائج مرضية إذ تعودوا واقتنعوا بضرورة التداوى بالطبيب .

وقد أمر بين دور الفلاحين وأدخلها وأدخل فى مباحثات ومناقشات حول نظافة الدار ونظافة ساكنيها لدرجة أن يعير الأطفال من قد يوجد بينهم وسخا .

كذلك وجدت من الأصوب تخصيص مساحة بعيدة نوعا عن المساكن لتكون جرنا يوضع به السباخ وحطب القطن والذرة ودراس الحاصلات الشتوية .

ولما رأيت رفع أجور الفلاح فى تفتيش بهتيم ورفعته الى خمسة قروش بسبب مايحيط به من العوامل والمعامل وصادق مجلس ادارة الجمعية الزراعية على ذلك ونفذ فعلا من شهر يونيه سنة ١٩٤١ طبقت ذلك أيضا فى مزارعى الخاصة . ومن ذلك الحين يحصل العامل الزراعى الأجير على أربعة قروش صاغ يوميا . وكان اغتباطى شديدا لما قررت الحكومة الحاضرة أخيرا رفع أجر العامل الزراعى الى خمسة قروش صاغا . وأهمية القرار ليست فى قيمة الأجر ؛ بل فى التوجه لتحسين حال العامل الزراعى . وطبعا يؤثر على ذلك الرقم قانون العرض والطلب .

ويمكننى أن أقرر من غير تردد أنه بمجموعة تلك العوامل التى اتبعتها قد تحسن الإنتاج الزراعى عندى تحسنا ملموسا . وعلى الرغم من التحسن فى جميع مرافق المزرعة فإنى لا أزال أكسب ما قررته لنفسى من المحصول خمسة فى المائة ربحا صافيا على رأس المال .

كما أن الأرض نفسها تحسنت ، فقد اشتريت ما أملكه فى مركز منيا القمح بخمسة وسبعين جنيها للفدان ، فأصبحت لا أرضى ببيعه بثمن مضاعف أى مائة وخمسين جنيها للفدان — أى مائة فى المائة — فإذا خصمنا منه خمسين فى المائة وهو أقصى التحسين بسبب ارتفاع أثمان الأراضى أصبح لا يزال عندى مكسب نسبى قدره خمسون فى المائة .

وكذلك الحال فى أرض الإصلاح بشربين .

كل هذا أيها السادة كان نتيجة طبيعية لاحتكاكى بالريف وسكناى به فى فترات قد تقصر أو تطول مع دوام الاتصال به ، وهو ما أدعو اليه وعلى القواعد التى شرحتها لحضراتكم

وفقنا الله لما فيه صلاح أمرنا .

فؤاد أباظه